المحاضرة رقم 01 **ضبط المفاهيم و المصطلحات، الجهل، الجاهلية، العرب و الأعراب**

مقدمة:

تعد حياة الترحال التي عاشها العرب قديما من أهم العوامل التي منعتهم من تدوين تاريخهم الغني بأمجادهم و بطولاتهم و أنسابهم على عكس الأمم التي سبقتهم التي كان لها حرص شديد على تدوين كل جزئيات حياتهم كاليونان والرومان و غيرها من الأمم الموغلة في القدم،و سبب هذا يعود بالدرجة الأولى حياتهم البدوية التي تقوم على التنقل بحثا عن مواطن الكلأ والعشب في أعماق الجزيرة العربية التي تتميز بمناخ جاف و أرض جدباء، والمطلع على سجل الشعر الجاهلي يجد تفاصيل هذه الحياة الجاهلية الغير مستقرة والغير آمنة فكان عدم الاستقرار باعث قوي على محاولة التعايش في ظل الظروف الصعبة وكانت حياة العربي بعيدة كل البعد عن المحافظة عن تاريخ أمته الذي كان في وقت ما في بؤرة المزايدة و الافتراء و التحريف إلا بعض النتف التي وصلتنا من خلال الشعر الجاهلي ، وحتى ممن كانوا أهل تحضر أنذاك كاليمنيين لم يستطيعوا أن يوثقوا مآثرهم الا القلة القليلة التي وصلتنا من نقوشهم وفي الحقيقة أن القرآن الكريم هو من قص علينا بعض القصص مثل عاد ثمود أو ما وصل الينا من خلال حكايات الأساطير وبعض العلاقات الاجتماعية .

لابد من ضبط بعض المصطلحات حتى تكون مفاتيح للولوج الى مادة البنية الفكرية أهمها:

الجاهلية: يرى اكثر الباحثين ان كلمة (الجاهلية) مشتقة من الجهل بمعنى السَّفه و الغضب و النزق ، فهي ضد الحِلْم " و يغلب على ظن الألوسيأنها: " لفظ حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل البعثه"في ظنه حظ من الصواب غير يسير ،فقد وردت الكلمة في القران الكريم أربع مرات ، منها قوله تعالى في نهي النساء عن التّبرج 'و لا تبرجن تبرجّ الجاهلية الأولى' الأحزاب 33 و]اتي البيضاوي وغيره بانها "الكفر الذي سبق الإسلام "[1]

وهذا المصطلح وثيق الصلة بالبيئة العربية القديمة التي كانت غامضة من حيث البداية التاريخية ، وعليه فزمان الجاهلية غير محدد تبعا لما وصل الينا و يمتد الى بُعد موغل في القدم من تاريخ العرب أي يصل الى القرن الثامن قبل الميلاد كما تدل عليه بعض المراجع التراثية التي تقصت الحقيقة التاريخية، أما المكان فهو معلوم حسب الكتب التي أثارت هذه النقطة فمعظم العرب أتخذوا من أرض الجزيرة موطنهم الأصلي يعيشون حياة بسيطة فكانت الخيام بيوتهم هي بيتهم الذي يقيهم من حر الصيف وقر الشتاء و فئة أخرى من أهل التحضر الحظر الذين يسكنون المدائن و القرى.

وعليه اعتاد الناس أن يسموا تاريخ العرب ما قبل الإسلام ب "التاريخ الجاهلي"[2] أو "تأريخ الجاهلية" في هذه الفترة الزمنية أكد كل من المؤرخ والأديب والعاملين في هذا البحث على أن العرب كانوا أهل بداوة ، وتخلف عمن حولهم من الحضارات الأخرى وذلك ما تؤكده

---

[1] غازي طليمات و عرفان الأشقر: الادب الجاهلي (قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه ، مكتبة الايمان حمص ط1، 1992م ، ص29

[2] علي جواد ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص14

حياتهم القبلية التي تقوم على الترحال، وحياة الغفلة والجهل والنزق والطيش مما جعلهم يعيشون العزلة عن العالم الخارجي ، يعبدون الأصنام، أميون وليس لهم تاريخ حافل وعلى هذا المشهد الباهت للعرب عُرفت هذه الحقبة التي سبقت الإسلام. باسم الجاهلية

ويؤكد الأديب والمؤرخ **علي جواد** أن : "الجاهلية مصطلح مستحدث، ظهر بظهور الإسلام ، وقد أطلق على حال قبل الإسلام تمييزا وتفريقا لها عن الحالة التي صار عليها العرب بظهور الرسالة "[3]

ومستخلص الحديث أن الانسان أصبح بمجيء الإسلام انسان متحضر في أخلاقه و أفكاره التي يغديها القرآن الكريم مما جاء به من دعوة الى مكارم الأخلاق و النضج العقلي والابتعاد عن الطيش و الغرائز التي تؤدي الى الطيش واللاعقلانية في ظل مجتمع تحكمه عادات تخضع في مجملها الى تعاليم الدين الإسلامي مما يؤكد مدى الازدراء والاستهجان للأوضاع التي كان يعيشها العرب في البيئة العربية الجاهلية

نطلق لفظة: "عرب والعرب" على سكان البلاد العربية على وجه العموم لا التخصيص أي تطلق على البدو والحضر، لا تفريق فيها بين بلد وآخر ولا بين طائفة من الطائفتين عن أخرى"[4] فلفظة الجاهلية هنا ذكرت بمعنى عام فحين يأتي علي جواد في موضع آخر من كتابه موضحا رأيه الخاص في لفظة الجاهلية قائلا: **والرأي عندي أن الجاهلية من السفه و الحمق و الأنفة و الخفة و الغضب و عدم الانقياد لحكم ولا شريعة و أرادة الاهية و ما الى ذلك من حالات انتقصها الإسلام " كما جاء الاختلاف حول لفظة الجاهلية الأولى في القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة الأحزاب الاية رقم 33 (وقرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)**[5] و"هناك جاهلية أولى ولد فيها إبراهيم ، والجاهلية الأخرى ولد فيها محمد"[6] وتضربت الآراء حول زمان الجاهلية لكن المرجح للصواب هو ما جاء في متون الحديث أن أصحاب الرسول كانوا يعنو ب الجاهلية الزمان الذي عاشوا فيه قبل الإسلام ، وقبل نزول الوحي فكانوا يسألون الرسول صل الله عليه وسلم عن أحكامها ، وعن العهود التي قطعوها على أنفسهم و عن بعض المواقف بين زمن الجاهلية ومجيء الإسلام و بالتالي أصبح مدلول الجاهلية في عهد الرسول مدلول.

_ أما مدلول لفظة الجاهلية عند العلماء فقد أطلقوها على من عاشوا زمن البلاد و زمن مجيء رسالة الرسول وسموهم بأهل الفترة وهم في نظرهم جماعة من اهل التوحيد ومن بينهم ذكروا ابن صفوان، وأصحاب الأخدود وورقة بن نوفل وأصحاب الرس ...

تعريف الجهل: لقد اقترن هذا المفهوم في أذهان العامة من الناس بالأمية ، أي عدم القدرة على القراءة و الكتابة و قد ورد تعريف هذه اللفظة في لسان العرب كما يلي: **"جهل : الجهل نقيض العلم والجهالة : أن تفعل فعلا بغير العلم"**[7] ومعنى الجهل هو السفه والطيش وقلة الصبر والحِلم لا قلة العلم.

---

[3] المرجع نفسه، ص14
[4] المرجع نفسه ، ص13
[5] سورة الأحزاب : الآية 33
[6] علي جواد المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص40
[7] ابن منظور : لسان العرب دار صادر، بيروت لبنان ، ج3 باب الحيم

أبرز القبائل في شبه جزيرة العرب:

الأعراب: ما المقصود بالأعراب هم العرب الذين يسكنون البراري والخلاء في الصحراء القاحلة والخيام المتناثرة والأعراب نسبة الى العرب وتنقسم هذه الأخيرة الى ثلاثة اقسام:

عرب بائدة: هم الذين طمست أخبارهم لسبب الحروب أو عوامل أخرى قد تكون عوامل طبيعية ولم يصلنا منها الا شذرات ونتف جاء بها القران الكريم عاد وثمود التي أهلكها الله سبحانه و تعالى وبعض ما حكته الأساطير كطسم وجديس. هذه الأخيرة طسم التي كانت تسكن البحرين و أن جديس كانت تسكن اليمامة و كان مالك طسم ملك غاشم ، يقال له عملاق فغلب على جديس و استبد بها ظالما يبطش حرمة نسائها فثارت جديس على طسم و بطشت بها و نجى طسمي واحد فلجأ الى اليمن و استغاث **بتُبَعْ اليمني** فأمده بجيش عملاق فأفنى جديس على بكرة أبيها .

مثال ثاني : أما قصة عاد وثمود هو جبروت عاد التي عاثت في الأرض وبغت بعبادة الأصنام و كانت تسكن حضر موت فارسل الله اليها النبي هود عليه السلام ليصلح فسادها فكذبوه فدعا عليهم فحبس الله عنهم المطر ثلاث سنين فذهبوا الى مكة يستسقون لهم فارسل الله عليهم ريحا عاتية ابادتهم عن اخره

وأما ثمود فقد كانت تسكن الحِجْرَ من وادي القرى فسخرت بنبيها صالح عليه السلام و أبت أن تطيعه إلا أن يثلج لها معجزة ، فأخرج من الصخر ناقة ، غير أنهم تجبروا و طغوا و عقروا الناقة فسلط عليهمسبحانه وتعالى زلزالا خسف بهم الأرض

العرب عاربة: هم القحطانيون وهم أصل العرب.

العرب المستعربة: وهم العدنانيون أولاد إسماعيل الخليل لم يكن يتكلم العربية وعندما أمر الله إبراهيم أن يذهب بأمه الى مكة ففعل ، وجاءت جُرهَم وقَطُراء و هما قبيلتان من اليمن فنزلوا مكة فتزوج إسماعيل من جرهم ، وكان من ذريته **"عدنان أبو العرب"** المستعربة ، ومن عدنان كانت القبائل النزارية بشعبيها الكبيرين : ربيعة و مَضَر، وكان الشمال موطن العرب العدنانيين، أما الجنوب موطن العرب القحطانية ، وغلبة البداوة على عرب الشمال ، فكان العدنانيون بدوا رحلا لا يستقرون في مكان و لا ستضلون بظل أحد كقريش في مكة و بني لقيفي الطائف ، لكن هؤلاء البدو الحفاة هم من أنجبوا التاريخ للشعراء .

الأهداف : و الأسئلة:

سنطبق على معلقة عمرو بن كلثوم

سيتعرف الطالب على عدة نقاط أهمها:

ماهي منطلقات ومرجعيات النزعة القبلية في شعر عمرو بن كلثوم؟

ماهي مستويات النص الشعري القبلي على مستوى اللغة؟ وماهي أبرز الخصائص الشكلية والمضمونية لمعلقة عمرو بن كلثوم؟ وماهي أهم القضايا الكبرى التي تناولتها؟

مناسبة القصيدة؟ التعريف بالشاعر

أهم المراجع

علي مصطفى عشا : جدل العصبية القبلية والقيم في نماذج من الشعر الجاهلي

، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – الجزء) ٣ المجلد)٣٣ الشحادة، عبد العزيز محمد، ١٩٩٠٠٩٩١ ،

الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي رسالة دكتوراه، جامعة عين شمس، مصر .عبد الغني زيتوني: الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي

<u>نموذج تطبيقي معلقة عمرو بن كلثوم والنزعة القبلية:</u>

تمهيد: يعتبر مجتمع القبيلة في العصر الجاهلي، بعلاقاته و نظمه وعاداته و أعرافه و هو المجتمع الذي يولد فيه العربي ، ثم يكتسب كل نظمه و أعرافه التي تصبغ بصبغة النسب وينعكس ذلك على سلوكياته و أفكاره وتلك النزعة التي يغذيها النسب يجد الفرد نفسه ينتمي الى قبيلته فطريا دون دوافع أخرى فيكتسب جنسيته وهويته التي تلازمه في حله وترحاله وبها يكتسب اسمه بين القبائل فلا يضل ولا يتيه بيهم، كما أن هويته التي تجعله عضو من أعضاء جسم القبيلة التي لا تستطيع الاستغناء عنه فما يصيبه يصيبها والعكس وما يفرحه يفرحها فهو الحامي لها ان تمت الاغارة عليها ، وإذا أعتدي على فرد من أفرادها أثيرت نعرة الثأر من القبيلة التي اعتدي عليها، ليس هذا فحسب بل يقتاد لأوامر سيد القبيلة و ينصاع لنظمها و أعرافها.

ماهي النزعة العصبية:

وهي تمسك العربي بنسب قبيلته تمسكا شديدا و خضوعه التام لشريعة القبيلة و هذه الأخيرة هي من تمنح القوة والأنفة للفرد للدفاع عن نفسه وبني عشيرته وقد أشار ابن خلدون الى هذا الأمر في قوله:"**و لا يصدق دفاعهم و ذيادهم إلاّ أذا كانوا عصبية و أهل نسب واحد ، لأنهم بذلك تشتدّ شوكتهم ، ويُخْشى جانبهم ، إذْ نُعْرة كل أحد على نسبه و عصبيته أهمّ ، وما جعل الله في قلوب عباده من الشفقة و النُّعرة على ذوي أرحامهم و قرباهم موجودة في الطبائع البشرية ، وبها يكون التعاضد و التناصر ، وتعظم رهبةُ العدو لهم** "[8]

الالتزام القبلي:

بعدما عرفنا العصبية القبلية التي تعني تمسك الفرد بقبيلته وقضاياها و حقوقها وواجباتها فهو ملزم بهذا ولاسيما شاعر القبيلة و لسان حالها فهو المعني الأول بهذا الالتزام وحامل قضاياها لمكانته في الحياة الجاهلية فكان من شعره الفخر والهجاء و المدح شريطة ان تدور مواضيع شعره حول قبيلته وعشيرته مدافعا عنها في المحافل الشعرية فكانت مهمة الشاعر من خلال هذا الأداء الشعري المبصوم بطابع قبيلته فهنا هو يكشف لنا عن العقلية المنتشرة في تلك الجماعة القبلية وبالتالي جعل الشاعر من شعره مرآة عاكسة لما يجري من قضايا قبلية في حالتي الحرب والسلم فضلا عن وقوفه مع قبيلته مدفوعا بنزعته العصبية فشعره لا يعكس شعورا ذاتيا فقط وانما شعور جماعته أيضا والفرد تابع لقبيلته ضالمة او مظلومة ويقول في مثل هذا المعنى دريد بن الصمة قائلا:

أمرتهُم أمري بِمُنْعرجِ اللّوى فلم يستبينوا الرُّشْد إلاَّ ضحى الغدِ

[8] عبد الغني زيتوني: الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي، مقال منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردنية، ع/39، دو القعدة ، ربيع الثاني 1411ه ، 1990م، ص179

فلما عصوني كنتُ منهمُ، وقد أرى غَوايتَهُمْ و أنني غيرُ مُهْتَدي

وما أنا إلاَّ من غَزِيَّةَ إن غَوتْ غويْتُ و إن تَرشُدْ غَزيَّةُ أرْشُدِ

فمصير القبيلة واحد والفرد مهما علت منزلته عليه الانتماء لقبيلته والذود عن حماها ظالمة أو مظلومة.

الدفاع عن القبيلة: حياة الصحراء هيأت الفارس العربي للحرب والاغارة فهو دائم الصراع مع طبيعته و مع ساكنيها من أخطار الحيوانات المفترسة ومن الاغارات المفاجئة من بني جلدته فهو الفارس الذي لا يستكين سيفه عن إراقة الدماء و رفع راية القوة والجبروت وكل هذا دفاع عن الشرف و العرض، فالشاعر يؤكد انتماءه لقومه الذين يشكلون عصبة قوية وملتحمة الأطراف [9] .

ماهي دوافع كتابة هذه المعلقة؟:

الدافع الأول:

تعتبر معلقة عمرو بن كلثوم أشهر شعره وأشهره، وهي حماسية فخرية وقد قام فيها عمرو بها خطيبا في سوق عكاظ ايام موسم مكة وبنو تغلب تعظمها جدا ويرويها صغارهم وكبارهم، والخطب التي دعا الى نظمها ليس واحدا على ما يتراءى لمن يتتبع أبيات القصيدة، ويفهم ذلك من اختلاف الرواة في سبب نظمها هذا جاء في شرح المعلقات السبع للزوزني الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني

الدافع الثاني:

ما جاء في كتاب الأغاني " يصرح أنه قالها على اثر ما جرى لأمه عند عمرو بن هند و في كتابه "خزانة الادب "أنه أنشدها بحضرة الملك عمرو بن هند فلعله نظمها في الواقعتين"

وتذكر الروايات أن عمرو بن هند سأل ندمانه ذات يوم عن أم عربية تأنف من خدمة أمه ، فقيل له انها أم عمرو بن كلثوم ، فأرسل في طلبها و نصب سرادقا للرجال و قبة دخلت فيها ليلى أم عمرو بن كلثوم على أم عمرو ابن هند وكان عمرو بن هند طلب امه أن تستخدم ام عمرو بن كلثومو حين أمر باحضار المائدة قالت ام عمرو بن **هند:"ناوليني يا ليلى ذلك الطبق، فقالت ليلى : لتقم صاحبة الحاجة الى حاجتها فأعادت عليها وألحت فصاحت واذلاه التغلب، فسمعها عمرو بن كلثوم** " فأخذ سيفا فقتل فيه عمرو بن هند وفي ذلك قال معلقته الشهيرة"

وعمرو بن كلثوم ينطلق من هذا الحدث التاريخي لتمجيد الجماعة المتمثلة في قبيلته و تمجيد مآثرها وشخصياتها و زعمائها وهنا ينطلق الشعر من الحديث عن الحدث الجماعي لا الفردي الخاص لأن نطق تعلب على لسان أمه أجج فيه روح العصبية و أيقض روح الانتماء القبلي لتغلب شأنه شأن من يؤدون طقوس دينية فهي مفروضة على الكل لا الفرد الواحد فحامي الحمى والنخوة العصبية تثير روح الجماعة في قصيدته والدليل على ذلك استخدام عمرو لضمير الجماعة في القصيدة

[9] المرجع السابق : [9] عبد الغني زيتوني: الوجدان الجماعي في الشعر الجاهلي، ص